المقدمة

الحمد لله خلق الناس من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبثَّ منهما رجالاً كثيرًا ونساءً، وجعل بينهم صهرًا ونسبًا، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى أهل بيته الطيِّبين الطاهرين، وعلى أصحابه، وعلى مَنْ سار على طريقه المستقيم، وبعد :

فإلى وقت قريب كانت الأسفار اليهودية هى المصدر الوحيد لمعرفة تاريخ اليهود وفلسطين فى الأزمنة القديمة، وقد اصطبغت هذه الأسفار بصفة القداسة وبخاصَّة بعد أنْ اتخذ منها المسيحيُّون " زمنًا طويلاً كتابهم المقدَّس الأوحد وسمَّوه " الشريعة والأنبياء " وَفْقًا للاصطلاح اليهودى فى تلك الأيام.

وفى مطلع القرن التاسع عشر الميلادى تمكَّن جان - فرانسوا شامبليون - Jean FranÇois Champollion (١٧٩٠ ـ ١٨٣٢) من فكِّ رموز الحروف الهيروغليفية الَّتى كُتِبَتْ بها اللغة المصريـة القديمة، وانطلقت وثائق البردى فى مصر، وجدران معابدها، ولوحات مقابرها تكشف عن حضارة عظيمة تختلف صورتها عن تلك الصورة المظلمة الَّتى ترسمها لها نصوص اليهود فيما سمَّوه العهد القديم.

توالت الحفريات فى الشام وفلسطين والعراق وبخاصة فى أوغاريت Ougarit، ونوزى Nouzi، وأور Ur، وغيرها، ووقع الصِّدام بين ما كشفه علم الآثار من حقائق وما جاء فى الأسفار اليهوديَّة من أساطير، وخرافات، وانقسم العلماء فى هذه القضية أربعة أقسام :

۞ فريق منهم يكذِّب الأسفار، ويرفض جميع ما جاء فيها مخالفا العلم وأكثر علماء هذا الفريق من الملحدين والعلمانيين ومن اقتدى بهم.

۞ وفريق منهم ينكر على العلم الحديث اقتحام هذا الحرم المقدس مؤمنًا بصدق النص الدينى وإنْ خالف العقيدة الصحيحة والفطرة السليمة، وإنْ كذَّبه التاريخ، وإنْ تأكَّد لديه بما لا يقبل الشك زيف النص، وغموضه والجهل بقائله، وأغلب هذا الفريق من علماء اللاَّهوت المسيحى.

۞ وفريق منهم يحاول تأويل النصوص الدينية، وتطويعها للتوفيق بينها وبين حقائق التاريخ، ويزيل ما بينهما من تناقض، ومن هذا الفريق الدكتور رشدى البدراوى الَّذى أصدر سلسلة كتب " قصص الأنبياء والتاريخ " فى سبعة أجزاء، أوَّلها عن سيِّدنا آدم ﷺ، وآخرها عن سيدنا محمد ﷺ، وقد دأب على أنْ يحمِّل النصوص فوق ما تحتمل.

۞ والفريق الرابع، وهم قليل من العلماء الَّذين بحثوا القضية بحياد تام محاولين كشف الحقيقة، ونفى الأوهام، وأشهر علماء هذا الفريق اثنان :

۞ العالم العراقى الدكتور أحمد سوسة ـ رحمه الله ـ الَّذى توَّج جهوده بكتابه العظيم الَّذى استنفد من عمره نصف قرن : " العرب واليهود فى التاريخ ".

۞ والمؤرخ الفرنسى جى راشيه Guy Rachet الَّذى زادت مؤلفاته عن الأربعين، وتنوَّعت ما بين المقالات التاريخيـة، والمعاجم المتخصصة فى الحضارات القديمة (الإغريقيـة، والمصرية، والشرق الأدنى) والأعمال الإبداعية فى الرواية والقصة والأدب، والترجمة من الهيروغليفية، وغيرها من اللغات القديمة والحديثة، إلى جانب أبحاثه العميقة فى تاريخ "الكتاب المقدَّس" ونقد نصوصه، وتوَّج جهوده بكتابه الرائع " La Bible mythe et réalités ".

وتَوَصَّلَ الباحثان إلى كثير من النتائج المذهلـة الَّتى غيَّرت المفاهيم القديمة، وبعد دراستى لما كتباه، وما كتبه غيرهما توصَّلت إلى ما يلى :

١ ـ مصادر الأسفار اليهودية كلها ترجع إلى أساطير بابلية، وسومرية، وكنعانية، ومصرية، ويونانية، وكتبت كلُّها بالآرامية بعد وفاة سيِّدنا موسى ﷺ بأكثر من سبعة قرون، ثم ترجمت إلى إحدى اللهجات الكنعانية الَّتى عرفت فيما بعد باسم " شفة كنعان " أو العبرية، كما ترجمت إلى اليونانية بعد ثمانية قرون مما يقطع الصلة تماما بينها وبين التوراة الَّتى هى كتاب الله المنَّزل على سيِّدنا موسى ﷺ.

٢ ـ العبرانيون، والإسرائيليون، وقوم موسى، واليهود هم أربعة أقوام مختلفة لا يربط بينها العرق، أو الدين، أو اللغة، أو الموطن، أو التاريخ المشترك، وقد تعمَّد اليهود الخلط بين الأحداث التاريخية لتضيع الحقيقة، وليثبتوا لأنفسم نسبا يرفعونه زُورًا إلى الخليل إبراهيم ﷺ، وإلى حفيده سيِّدنا يعقوب ﷺ الَّذى ألصقوا به كذبًا لقب " إسرائيل "، وحاولوا أنْ يجعلوا لهم تاريخا له حضارة، وأنْ يثبتوا لهم جذورًا فى أرض العرب، والحقيقة بطلان كل هذه الادِّعاءات، فقد كذَّبتهم الآثار، وكذَّبهم التاريخ ؛ فلم يثبت لهم وجود أصلا فى أرض فلسطين، فلا يوجد نقش واحد أو أثر واحد يتحدث عن تاريخ لهم، وما جاء فى النقوش القديمة من أسماء المدن والبقاع كاليهودية وإسرائيل... وأسماء الأعلام كإبراهيم وإسحاق.... هى أسماء كنعانية قديمة انتقلت إلى اللغة العبرية باعتبارها واحدة من اللهجات الكنعانية الآرامية.

٣ ـ من الموضوعات الهامَّة الَّتى لم يُولِها الدَّارسون حقَّها من البحث فى الأديان مسألة " ترجمة " النص المقدس إلى لغة غير لغته الأصلية ـ هل تكتسب تلك الترجمة القداسة أيضا ؟ أم هى ترجمة للمعانى فقط، وليس ترجمة للنص، وهى بذلك تكون فقدت قداستها ؟

بالنسبة للقرآن الكريم المسألة محسومة ؛ فترجمته إلى اللغات غير اللغة العربية ترجمة معان، وليست مقدَّسة، ولا يصحُّ التعبُّد بتلاوتها، ولا يصحُّ أداء الصلاة بها لا فرضًا ولا نفلاً، وذلك لسببين :

السبب الأول: أنَّ القرآن الكريم هو معجزة رسول الله ﷺ الباقية الخالدة

الوحيدة، وإعجازه فى ألفاظـه، وفى نظمه، وفى معانيه، وفيما يخبر به من أحداث مضت، أو لم تقع بعد، والترجمة لا تظهر ذلك الإعجاز، وبخاصَّة إعجازه فى الألفاظ، وفى النظم.

والسبب الآخر : أنَّ لغة القرآن الكريم لغة حيَّة، باقية، خالدة، متطوِّرة تعهَّد الله ﷻ بحفظها لأنَّه اختارها لتبلِّغ للناس كلامه، وستبقى ما بقيت السموات والأرض.

وهاتان الميزتان لا تتوفَّران لأىِّ كتاب سماوى ؛ فمعجزات جميع الأنبياء السابقين على سيِّدنا محمد ﷺ كلُّها معجزات مادِّية مقطوعة الصلة تمامًا بالكتاب المنَّزل، وما تضمَّنه من مبادئ وتشريعات، وماتت بموت النبى ؛ فإذا كان سيِّدنا موسى عليه السلام يضم يده إلى جناحه فتخرج بيضاء من غير سوء، ويلقى عصاه فتتحوَّل إلى ثعبان مبين فإنَّ هذه المعجزات ليست جزءًا من عقيدته الدينيَّة، ولا علاقة لها بالكتاب المنَزَّل عليه، ولا يمكن إثباتها أو التحقق منها بعد وفاته ؛ فإعجازها خاص بمن كان حيًّا فى زمانها، وشاهدها مع الملأ المحتشد فى يوم الزِّينة، ورآها بعينيه.

ومعجزات سيِّدنا عيسى عليه السلام من ذات النوع المادِّى المنقطع الصلة بالعقيدة ؛ فقد كان عيسى عليه السلام يحيى الموتى بإذن الله، ويشفى الأبرص والأكمه بإذن الله، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثمَّ ينفخ فيه، فيكون طيرًا بإذن الله...وهى معجزات ماتت بموته، ولم يعد فى استطاعة البشر اليوم رؤيتها، وإنَّما رآها من كان معاصرًا المسيح عليه السلام. وما قلته عن معجزات سيِّدنا موسى، وسيِّدنا عيسى ـ عليهما السلام ـ يصدق على معجزات جميع الأنبياء ـ ما عدا محمدًا ﷺ ـ مثل نار سيِّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، وناقة سيِّدنا صالح عليه السلام...

وفى الوقت نفسه ماتت اللغات الَّتى نزلت بها تلك الكتب، ولم يعد لها وجود ؛ بل إنَّ البحث فى مفرداتها، ومعانيها، وأجروميتها هو ضرب من الحَدْس والظن لا يرقى إلى درجة اليقين، أو إلى درجة تقرب من اليقين ؛ ولعلَّ هذا هو أهم الأسباب

فى كثرة التعديلات والتغييرات فى متون الأسفار والبشائر[1]، إلى درجة أنَّ موسوعة بريطانيا ذكرت أنَّ هناك خمسين ومائة ألف تناقض وتحريف فى ما يدعونه "الكتاب المقدس" بينما رفع العلماء حديثا هذا الرقم إلى ثلثمائة ألف فى كلا العهدين، أى إلى ضعف الرقم الأول...[2].

٤ ـ إنَّ الدراسات القائمة على الوثائق والتحليلات اللغوية ومراجعة الترجمات السابقة كشفت عن تدخَّل المنظمة الكنسيَّة فى إخفاء أكثر الأناجيل، ولم تسمح إلاَّ بتداول أقلها الَّذى يخدم أغراضها، وهو ما دفع بأحد العلماء إلى القول : إنَّ الفرق الذى يوجد بين ما توصل إليه العلماء والباحثون فى أصول المسيحية وتاريخها وبين عامة الجمهور هو جهل يصل إلى درجة الأمية ! فما يعرفه العلماء فى وادٍ، وما يُسمح بنشره للعامة فى وادٍ آخر.

٥ ـ رسمت نصوص الأسفار اليهودية صورة وثنية إحلالية تجسيمية للإله تظهره بمظهر الإنسان العادى بكل نقائصه وعيوبه وعجزه، فلا تظهر فى تلك الصورة فروق بين الخالق ومخلوقاته ؛ فهو يسأل مَنْ يعلم عما يجهله هو، ويتفرَّج على ما يصنعه البشر بإكبار وإعجاب، ويعاشر الناس، ويأنس بهم، ويأكل معهم، ويصارعهم، ويتحدَّث إليهم، ويخاصمهم، وقد يخافهم، ويداريهم، بل حاكمه الحاخامات، ووصموه بالخطأ، فاعتذر، ولم يعد فى استطاعته فعل شىء فى هذا الوجود إلاَّ بإذن منهم.

وأمَّا صورة الأنبياء فى الأسفار اليهوديَّة فهى صورة رديئة، قذرة تجعلهم وثنيين، كذَّابين، منافقين، زناة، سكارى، لصوصًا، يتاجرون بشرفهم وأعراضهم... وقد لخَّص نبيُّهم إرميا هذه الصورة فى قوله :

---

(١) المقصود بلفظ " الأسفار" ما يسمُّونه (التوراة، أو العهد القديم)، و المقصود بلفظ "البشائر" ما يسمُّونه (الأناجيل، أو العهد الجديد) وسوف يتضح لك سبب اختيار هذين المصطلحين الجديدين فى الفصل الأوَّل من هذا الكتاب.

(٢) شفرة دافنشى والمؤسسة الكنسية، د.زينب عبدالعزيز مقال فى جريدة الشعب الإلكترونية بتاريخ ١٩/ ٥/ ٢٠٠٦ م.

" ١٥ ... مِنْ أَنْبِيَاءِ أُورُشَلِيمَ شَاعَ الْكُفْرُ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الأَرْضِ». "[١].

٦ ـ ملأ اليهود تاريخ الإنسانية بالأكاذيب والأباطيل والخرافات منها :

۞ أنَّه يوجد شعب يعرف بـ " إسرائيل " عاش عبر التاريخ مميَّزًا بصفتين أساسيتين : الأولى : العرق السامى النقى ؛ وهو خرافة لا دليل عليها.

والأخرى : التوحيد ؛ والواقع أنَّ اليهود لم يعرفوا التوحيد فى معظم تاريخهم، ولم يعبدو الإله الواحد القهَّار فى أكثر أوقاتهم، بل لم يتخلَّوا أبدًا عن عبادة العجل حتَّى فى حياة أنبيائهم، بل إنَّ اسم إلههم الخاص الَّذى اخترعه لهم عِزْرَا ونحميا " يهوه " ينطقون به يَهُوفَاه على أنَّه خوار البقرة ؛ ليدل على أنَّ يهوه مرتبط بالثور[٢].

۞ الحيَّة التى أغرت حواء بالأكل من الشجرة المحرَّمة أسطورة سومرية.

۞ الأجناس البشرية ونسبتها إلى أبناء سيِّدنا نوح عليه السلام كلُّها باطلة.

٧ ـ كل الأدلة التاريخية والدينية ترجِّح ـ إنْ لم تقطع ـ أنَّ أنبياء الله : إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، ويوشع، ويونس، وأيُّوب، وإلياس، وداود، وسليمان، وعيسى، جميعهم ليسوا من اليهود ـ كشعب متميِّز بحسب تصوُّرهم ـ ولا تربطهم بهم صلة.

٦ ـ سيِّدنا موسى عليه السلام مصرى الأصل، ولا علاقة له بما يسمَّى " بنى إسرائيل" إلاَّ أنْ يكونوا من بين جماعة المستضعفين الَّذين استذلَّهم الفرعون، وأراد سيِّدنا موسى عليه السلام رفع الظلم عنهم، ودعوتهم إلى نور الإيمان، وتوحيد الله الواحد الأحد، وعبادته.

۞ خرافة الخطيئة الكبرى ؛ ويريدون بها عصيان سيدنا آدم عليه السلام أمر ربه وأكْله من الشجرة المحرَّمة، وما ترتَّب عليها من خروجه من الجنة هو وزوجه، وظلَّت البشريَّة تتوارث هذه المعصية حتَّى خلَّصها منها المسيح عليه السلام بافتداء البشر بنفسه.

---

(١) إرميا ٢٣ : ١٥.

(٢) ما بين موسى وعزرا ٢٤٨، La Bible mythe et réalités , p١٠.

ورث المسيحيُّون هذا التراث الخرافى الممتلئ بالأكاذيب والإلحاد والمتناقضات، والأساطير، واعتبروه أساسًا لعقيدتهم بالرغم مما بين العقيدتين اليهوديَّة والمسيحيَّة من خلاف كبير، والَّذى يدعو إلى الدهشة والغرابة فى أمر العقيدة المسيحية أمور ثلاثة :

الأول : أنَّ المسيح عيسى بن مريم ﷺ بُعِثَ لتصحيح العقيدة اليهودية بعد انحرافها عن الدين القويم، ومخالفتها الشريعة الموسوية وسُنَّةَ الأنبياء، إنَّ المسيحيين يعلمون ذلك، ويتحدَّثون به فى بشائرهم ؛ فكيف يتخذون من هذه العقيدة الفاسدة المنحرفة ـ باعترافهم ـ أساسًا لعقيدتهم ؟

الثانى : منذ اليوم الأوَّل لظهور المسيح ﷺ سعى اليهود لتحريف النصرانية وتغييرها، والقضاء عليها وتدميرها ؛ وتكفَّل شاول اليهودى بهذه المهمَّة، فادَّعى كذبًا أنَّ المسيح عيسى بن مريم ﷺ ظهر له ـ بعد موته ـ فى طريق دمشق، وكلَّفه فى ثوان بتكاليف مناقضة تمامًا لكلِّ ما علَّمه المسيح أنصاره خلال ثلاث سنوات من رسالته ؛ فكيف استطاع هذا الشاول اليهودى ـ وهو أعدى أعداء المسيح وأنصاره كما قالوا ـ كيف استطاع أنْ يصبح القديس بولس، وأنْ يضع أكثر من ثلثى تعاليم المسيحيَّة ونصوصها المعمول بها اليوم، فهل يُصدِّق عاقل أنْ يكون نصيب نبىٍّ الرسالة أقل من نصيب عدوِّه فى كتابهم الدينى، مع ما بين الأكثر والأقل من تناقض فاضح ؟ فبمقياس" الكم" أمامنا عدو له النصيب الأوفر، ونبى قليل القسمة ـ فمَنْ نصدِّق منهما ؟ ومَنْ نكذِّب منهما ؟ أ نؤمن للعدو المكثر أم نؤمن للنبىِّ المقل ؟ وأيُّهما أحق بالاتِّباع ؟

الثالث : العقليَّة المسيحية تتعايش فى داخلها المتناقضات الدينيَّة، وتتساوق بشكل ملفت للنظر، وصدق سيِّدنا رسول الله ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة ﷺ، قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ ثُمَّ كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتِجُ الْبَهِيمَةَ ؛ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ ﴾[1].

---

(١)صحيح البخارى الباب ٩١ " ما قيل فى أولاد المشركين " الحديث ١٣١٩، ١ / ٤٦٥.

فمن أمثلة التناقض الَّذى نراه فى الفكر الدينى المسيحى :

۞ يردِّد المسيحيون دائما أساس عقيدتهم فى التثليث : " الآب والابن والروح القدس إله واحد[1]. " وما من إنسان عاقل ـ غير مسيحى ـ يمكنه أنْ يفهم المعادلة : الآب + الابن + الروح القدس = إله واحد.

١ ـ.

٢ ـ.

۞ جراهام سكروجى ـ عضو معهد " مودى" للكتاب المقدَّس، ومن أكبر علماء البروتستانت المُمَسِّحِين[2] العاملين على نشر عقيدتهم الفاسدة ـ له كتاب عنوانه " هل الكتاب المقدس كلام الرب " وكتب فيه فصلا جعل عنوانه " كتاب من صنع البشر ولكنه سماوى " ؛ ويقول فيه : " نعم، إنَّ الكتاب المقدَّس من صنع البشر بالرغم من أنَّ البعض جهلا منهم قد أنكروا ذلك "[3].

ولم يسأل هذا المأفون نفسه : كيف يكون سماويّا أو إلهيًّا ما هو من صنع البشر؟

۞ جاء فى مقال بعنوان " خمسون ألف خطأ فى الكتاب المقدَّس " المنشور فى مجلَّة شهود يهوه ما يأتى : " هناك ما يقارب خمسين ألف خطأ... وهى أخطاء قد تسلَّلت فى نص الكتاب المقدَّس، إنَّها خمسون ألف خطأ خطير، ولكنَّ النص ككل ما زال صحيحا "[4].

أرأيت كيف أنَّ وجود خمسين ألف خطأ خطير فى كتاب واحد لا قيمة لها، ولا تقدح فى الكتاب، ولا تثير الشك فيه، ويظلَّ الكتاب صحيحًا ككل ؟ علمًا أنَّ علماء

---

(١)لم توجد هذه العبارة فى أصول بشارة متَّى ١٨ : ١٩ وإنَّما أضيفت إليها بين أقواس.

(٢)سوف نطلق لفظ " ممسحين " على القسس والرهبان المسيحيين العاملين فى مجال نشر عقيدتهم بين غير المسيحيين، والمصطلح الأكثر استعمالا هو نعتهم " بالمبشِّرين "، وسمَّاهم البعض " المنصِّرين " ومن خلال الفصل الأول من هذا الكتاب ستعرف سبب رفضنا لمصطلح المبشرين، والدعوة إلى استعمال واحد من الاصطلاحين الآخرين.

(٣)الجزء الأول من مجموعة ديدات " هل الكتاب المقدس كلام الله " ١٨٧.

(٤)المصدر السابق ١٩٩.

اللاَّهوت المسيحيين قد رفعوا هذا العدد إلى الضعف، أى إلى ثلثمائة ألف خطأ كما سبق القول.

ومن هنا قد يسأل سائل : أ فى كتابهم " الشريعة الخطِّيَّة "[1] ثلثمائة ألف كلمة حتَّى يكون فيه مثل هذا الرقم المخيف من الأخطاء ؟

إنَّ الإجابة عن هذا السؤال تذكِّرنى بما قرأته ذات يوم من أنَّ منظَّمة الصحة العالميَّة نشرت فى تقريرها لعام ١٩٥١م ـ على ما أذكر ـ أنَّ عدد المرضى فى مصر بلغ ٤٨ مليونا من المصابين، فى الوقت الَّذى كان فيه تعداد مصر السكانى الفعلى لم يكن يتجاوز ٢٣ مليون نسمة فقط، وتفسير هذا الأمر أنَّ المنظمة تستقى معلوماتها من قوائم المرضى فى المستشفيات العامة وعيادات الأطباء الخاصَّة، وقد يكون الشخص الواحد مصابًا بمرضين، أو ثلاثة، أو أكثر ؛ فيكون اسمه مسجلا فى ثلاثة مواضع وهو فى العدد يحسب ثلاثة مرضى، بالرغم من أنَّ كثيرا من سكَّان مصر فى ذلك الوقت ـ وبخاصة فى ريف مصر وقراها ـ لم يكونوا من روَّاد المستشفيات والعيادات.

وبهذا التفسير نفسه نجيب عن السؤال المطروح : أ فى كتابهم "الشريعة الخطِّيَّة " ثلثمائة ألف خطأ ؟

الحقيقة أنَّ الأخطاء أو المتناقضات فى الشريعة الخطيَّة تتنوَّع ما بين :

كلمة تناقض كلمة، وكلمة تناقض جملة، وجملة تناقض جملة، وفقرة تناقض فقرة، وشخص تتعدد أسماؤه، وحادثة تعارض حادثة، وقصة تخالف قصة، وبلد يذكر له أكثر من موضع، وموضع يعرف له أكثر من اسم، وإله يحمل عشرات الأسماء والصفات... وعشرات المتناقضات.

---

(١) سنستخدم مصطلح " الشريعة الخطيَّة " بدلا من " الكتاب المقدَّس "، فهو كتاب حرام أنْ يوصف بالقداسة علما أنَّ التسمية ليست من عندى، وإنَّما صرَّح بها مؤلف مدخل إلى العهد القديم ٥٤ نشر جمعيَّات الكتاب المقدس فى المشرق، الطبعة الثالثة لدار المشرق ١٩٩٤م، فى بيروت، حيث أشار إلى أنَّ معنى الكتاب المقدس = الشريعة الخطيَّة.

۞ قالت السيدة إيلين ج. وايت : " إنَّ الكتاب المقدَّس الَّذى نقرؤه اليوم هو نتيجة عمل نسَّاخ عديدين استطاعوا فى معظم الأحيان أنْ ينفِّذوا عملهم بإتقان مدهش، ولكنَّ النسَّاخ لم يكونوا معصومين من الأخطاء، واللعب فى هذه الأحيان بتغيير بعض الكلمات ظنًّا منهم أنَّهم كانوا يبسِّطونها ولكنَّهم فى الحقيقة كانوا يجعلونها أكثر غموضًا ؛ لتسببهم فى ميلها إلى آرائهم الَّتى كان يحكمها التقليد فى ذلك العصر "[1].

أ تستطيع أنْ تحسب كمِّية المتناقضات فى هذه الأسطر الستة ؟ ألست ترى أنَّ عدد المتناقضات فيها أكثر من ضعف كلماتها ؟

ويعلِّق الشيخ أحمد ديدات الدَّاعية الإسلامى على كلمة إيلين وايت هذه بقوله : " إنَّ المرض العقلى عندهم مصقول حقًّا ؛ فهذه الكاتبة وأتباعها ما زالوا يذيعون فى كل مكان : " إنَّ الكتاب المقدَّس حقًّا كلام المعصوم" و " نعم هو محرَّف ولكنه نقىٌّ وطاهر "، " إنَّه من عمل البشر ولكنه سماوى "، هل للكلمة أى معنى فى لغتهم ؟

نعم الكلمة لها قيمة فى محاكمهم، ولكن ليس فى دينهم، فهم يحملون " ترخيصا أدبيًّا " عندما يعظون الناس "[2].

۞ يقول ول ديورنت " ليس العهد القديم شريعة فحسب، بل هو فوق ذلك تاريخ، وشعر، وفلسفة من الطراز الأول، وإذا ما أنقصنا من قيمة

الكتاب ما فيه :

١ ـ من أساطير بدائية.

٢ ـ ومن أغلاط مبعثها صلاح الكاتبين وتقواهم.

٣ ـ وأقررنا أنَّ ما فيه من أسفار تاريخية لا تبلغ من الدقَّة أو القدم ما كان أجدادنا السابقون يفترضونه فيه.

---

(١) الجزء الأول من مجموعة ديدات " هل الكتاب المقدس كلام الله " ٢٠٧.

(٢)الجزء الأول من مجموعة ديدات " هل الكتاب المقدس كلام الله " ٢٠٧.

إذا ما فعلنا هذا كله فإنَّا لا نجد فى الكتاب طائفة من أقدم الكتابات التاريخية فحسب بل نجد فيه كذلك طائفة من أجمل تلك الكتابات "[1].

ونسأل المؤرخ الكبير ثلاثة الأسئلة الآتية :

١ ـ بعد إنقاص كل ما ذكرت من الكتاب هل يتبقَّى منه شىء، وقد أكَّد الباحثون أنَّ كل ما فيه أساطير الأولين ؟

٢ ـ هل سمعت أو سمع الناس عن صلاح وتقوى يؤديان إلى أغلاط ؟

وإذا كان الصلاح والتقوى يؤدِّيان إلى الأغلاط فما طريق الصَّواب إذن ؟ أ يكون الفساد والكفر هما طريقا الصَّواب ؟

٣ ـ إذا كانت الأسفار التاريخية ليست قديمة العهد، وإنَّما هى تأليف حديث، وخالية من الدقَّة فمن أين جاءتها القداسة ؟

وهل تستحق الإيمان بها كنص دينى يُتَّخَذُ وسيلة لهداية البشر ؟

إنَّها عقليَّة غريبة عجيبة تلك الَّتى ترى فى الاختلاف التئامًا، وترى فى التناقض انسجامًا، وتستخدم عقولها فلا تدرك إلاَّ أوهامًا، وتفتح أعينها فلا تبصر إلاَّ ظلاما، وتصغى آذانها فلا تسمع إلاَّ صمتًا، وصدق الله العظيم : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾[2].

إنَّهم كما جاء وصفهم فى البشائر : " ١٣ لِهَذَا السَّبَبِ أُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَالٍ: فَهُمْ يَنْظُرُونَ دُونَ أَنْ يُبْصِرُوا، وَيَسْمَعُونَ دُونَ أَنْ يَسْمَعُوا أَوْ يَفْهَمُوا. ١٤ فَفِيهِمْ قَدْ تَمَّتْ نُبُوءَةُ إِشَعْيَاءَ حَيْثُ يَقُولُ : سَمْعاً تَسْمَعُونَ وَلاَ تَفْهَمُونَ، وَنَظَراً تَنْظُرُونَ وَلاَ تُبْصِرُونَ. ١٥ لأَنَّ قَلْبَ هَذَا الشَّعْبِ قَدْ صَارَ غَلِيظاً، وَصَارَتْ آذَانُهُمْ ثَقِيلَةَ السَّمْعِ، وَأَغْمَضُوا عُيُونَهُمْ ؛ لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ، وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا إِلَى، فَأَشْفِيَهُمْ! "[3].

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ٣٨٥.

(٢) سورة الأعراف ٧ : ١٧٩.

(٣) بشرى متى ١٣ : ١٣ ـ ١٤.

وإذا كان القرآن الكريم، وكتب التفاسير، والحديث الشريف كلُّها تؤكد صدق ما توصَّل إليه العلماء من حقائق، وما كشفت عنه الآثار من معلومات بفضل ما ابتكره العلم الحديث من وسائل... لذلك يجب تصحيح المفاهيم الخاطئة ؛ ليتسنَّى للعرب بخاصَّة وللمسلمين بعامَّة ـ بل للبشر كلِّهم ـ إعادة كتابة تاريخهم السياسى والدينى على أسس علمية صحيحة، وعلى عقيدة متينة سليمة.

ونحن على قناعة تامَّة أنَّه لن يستفيد من قولنا هذا إلاَّ إنسان شرح الله صدره للحق، وهداه سواء السبيل، وتخلَّى عن عناده وكفره، ورحم الله الأعمى التطيلى[1] الَّذى قـدَّم لأمثال هؤلاء نصيحة غالية، لعلَّهم ينتفعون بها، قال[2]:

فَانْظُرْ بِعَقْلِكَ إنَّ الْعَيْنَ كَاذِبَـةٌ ✪ وَاسْمَعْ بِحِسِّكَ إنَّ السَّمْعَ خَوَّانُ

وَلاَ تَقُلْ : كُلُّ ذِى عَيْنٍ لَهُ نَظَرٌ ✪ إنَّ الرُّعَاةَ تَرَى مَا لاَ يَرَى الضَّانُ

وقد رأيت أنْ تكون هذه الدراسة فى بابين :

الباب الأول : أهل الكتاب يبدِّلون دين الله.

وفيه الفصول الآتية :

الفصل الأول : فى البدْء تصحيح المفاهيم.

الفصل الثانى : أسطورة الحيَّة.

الفصل الثالث : الأجناس البشرية.

الفصل الرابع : إله اليهود وإله المسيحيين.

الفصل الخامس : من قصص الأنبياء.

الفصل السادس : قراءات نقدية لبعض نصوص الأسفار اليهودية.

الباب الثانى : دين الله فى مصر المحروسة.

---

(١) أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن هريرة، القيسى (ت ٥٢٥ هـ/ ١١٣١م) شاعر أندلسى، نشأ فى أشبيلية، له ديوان شعر مشهور. الأعلام ١ / ١٥٨.

(٢) ديوانه ٢١٨.

وفيه الفصول الآتية :

الفصل الأول : دين الله فى التراث المصرى القديم.

الفصل الثانى : من إدريس إلى إخناتون.

الفصل الثالث : من إبراهيم إلى يوسف.

الفصل الرابع : من شعيب إلى يحيى.

الفصل الخامس : الرسالات السماويَّة الكبرى.

ولا يخفى على القارئ الكريم أنَّ كتابا صغيرا كهذا لا يمكن أنْ يكون سيرة كاملة لهؤلاء الأنبياء ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ أو يكون عرضا لتعاليمهم، أو تفنيدًا لأقوال المؤرخين مسلمين وغير مسلمين فهذا عمل تنوء به العصبة من الرجال أولى القوة والبأس، وإنَّما الغرض الرئيس من هذا الكتاب هو معالجة القضايا الفكرية الهامة الَّتى هى محلَّ خلاف بين المؤمنين والملحدين، وأعترف أنَّ أكثر ما فى هذا الكتاب من حقائق هى محصِّلة جهود العلماء المخلصين الَّذين نذروا حياتهم لكشف الحقيقة، والدفاع عن عقيدة رأوْا فيها صلاح المجتمع، وتيقَّنوا أنَّ فيها خير الفرد فى دنياه وآخرته، وصوابها وخطؤها هم مسئولون عنهما ؛ وأرجو أنْ يكون لهم عند الله أجْرَى الصواب، وأجر الخطأ جزاء اجتهادهم، وغيرتهم على دينهم، وأقل ما فى هذا الكتاب هو اجتهاد شخصى أحمل وحدى وزر الخطأ فيه، ولا أمُنُّ على الله نعمة الخير فيه، بل أدعو الله تعالى ألا يحرمنى أجر ما بذلت من جهد راجيا أنْ يكون خالصا لوجهه الكريم، وأنْ يهدينا جميعا إلى الحق، وإلى الطريق المستقيم وعلى الله قصد السبيل، ومنه العون، وبه التوفيق، وعليه التكلان.

محمد لاشين

القاهرة فى رمضان المعظم ١٤٢٧ هـ/ أكتوبر ٢٠٠٦ م.